٢٥ فضائل أهل العلم

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٢).

هذه الآية الكريمة فيها دليل على وجوب التفقه في الدين ، وتفقيه الناس بالمقدار الذي تصلح به أحوالهم ، فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعلمها ، والله عَزَّوَجَلَّ سمى الخروج في طلب العلم في هذه الآية نفيرًا كالخروج في طلب العدو ، لأن طلب العلم والتفقه في الدين نوع من أنواع الجهاد ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان : ٥٢).

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : من رأى الغدو والرواح في طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه.

وفي الصحيحين[١] عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» .

وفيهما أيضًا[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا....**».

والفقه في دين هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى قسمين:

١- فرض عين.

٢- فرض كفاية.

ففرض العين: مثل الطهارة والصلاة والصوم ، فعلى كل مكلف معرفته قال النبي ﷺ «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» .[٣]

---

(١) البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) .
(٢) البخاري برقم (٣٤٩٣) ومسلم برقم (٢٥٢٦) .
(٣) هذا الحديث حسن بشواهده فقد جاء عن عدة من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وابن عباس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا وهو عند ابن ماجه وغيره.

وكذلك كل عبادة أو جبها الشرع على كل أحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها ، مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج إن قدر عليه.

وأما فرض الكفاية: فهو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا ، وإذا قام من كل بلد واحد بتعلمه سقط الفرض عن الآخرين[١].

عباد الله : إن الذين نصبوا أنفسهم للعلم والتعليم والفقه لدين الله مراتبهم عند الله عالية ، ودرجتهم رفيعة ، وكيف لا وهم مجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟! كيف لا وهم يذودون عن الدين والملة ؟! وهذه إشارة إلى بعض الفضائل التي منح الله أهل العلم إياها.

فالعلماء الراسخون والفقهاء العابدون هم والله أهل الفضل والرفعة والسؤدد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (المجادلة : ١١).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقومًا ويضع به آخرين**» رواه مسلم[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**يقال يوم القيامة لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**» رواه أبو داود [٣].

(١) معالم التنزيل للإمام البغوي ج٢(٣٤٠) .
(٢) مسلم برقم (٨١٧) .
(٣) أبو داود برقم (١٤٦٤) والترمذي برقم (٢٩١٤) .

وأهل العلم هم الواسطة بين الله وبين عباده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٨٣).

أهل العلم هم حجة الله على خلقه في الدنيا ، فإنهم يبلغون دعوة الله إلى عباده وبذلك تقوم الحجة عليهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٥).

وأما في الآخرة فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الروم : ٥٥- ٥٦).

العلماء هم أهل الخشية التامة الكاملة لله والرهبة منه ، قَالَ تَعَالَىٰ:: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٨)

والخشية لله رب العالمين تورث الجنة كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في محكم التنزيل: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ (البينة : ٨).

أهل العلم هم حملة الشريعة ، يكفيهم شرفًا وفخرًا ومنزلة عند الله أن القرآن في صدورهم كما قال المولى عز شأنه وجلت عظمته: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٩).

أهل العلم والفقه هم الذين يعقلون عن الله مراده فما أجل فهمهم وما أعظم رشدهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٣) .

العلماء هم أهل توحيد الله ، علمًا واعتقادًا وعملًا ودعوة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : ١٨) .

ويدخل في العلماء في هذه الآية دخولًا أوليًا والأنبياء لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علمهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ١٤٥).

كما أنه يدخل في الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل ، الذين هم أفضل الملائكة وغيرهم من الملائكة.

العلماء هم الذين أمر الله بسؤالهم والرجوع إليهم ، ولا سيما في زمن الفتن والمحن قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء : ٧).

إذا أنت لم تدرِ ولم تك بالذي يُسائل من يدري فكيف إذا تدري

جهلت ولم تعلم بأنك جاهل فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري وأنك لا تدري بأنك لا تدري

العلماء إذا ماتوا لا تقطع أجورهم، بل يبقى علمهم محفوظًا بين الناس وذكرهم الجميل الدائم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** » .

فما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وفضل كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيًا به أبدًا الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلماء يعرفون الأشياء على حقيقتها، فيعرفون الشر من البداية قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبإ : ٦).

أي: علمًا تفرقون به بين الحق والباطل وتميزون به بين الحقائق.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: العالم يرى الفتنة وهي مقبلة، والناس لا يرونها إلا وهي مدبرة.

ولقد نفى الله التسوية بين العلماء والجهال، كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، فقال جلت عظمته في كتابه العظيم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر : ٩).

(١) مسلم برقم (١٦٣١) .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد: ١٩).

كما أنه لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار، فكذلك العالم والجاهل لا يستويان.

وكما أنه لا يستوي الليل والنهار والضياء والظلام ، والماء والنار والأعمى والبصير والخبيث والطيب ، والظل والحرور ، وكذلك العالم والجاهل لا يستويان .

معاشر المسلمين ثبت عند أحمد والحاكم [١] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقه» .

وهذا الحديث ورد عن عدة من الصحابة مهم أنس وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة وابن عباس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وعند ابن حبان[٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ : «**البركة مع أكابركم** » وسنده صحيح.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا»[٣] .

والأكابر هم علماء أهل السُّنَّة الذين فهموا الكتاب والسُّنَّة بفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأصاغر هم أهل البدع.

---

(١) أخرجه أحمد ج٥(٣٢٣) والحاكم ج١(١٢٢) وصحيح الجامع برقم (٥٤٤٣) .
(٢) صحيح ابن حبان برقم (٥٥٩) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (٨٥٨٩) وسنده صحيح.

ولا شك أن موت العلماء ثلمة في الإسلام ، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار ، روى الإما البخاري ومسلم في صحيحيهما [١] عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا ، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**».

إن وجود العلماء في الأمة من الأهمية بمكان ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**».

أصبحنا في هذا الزمان وكأننا نعيش في الزمان الذي قال فيه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « **كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، إذا ترك منها شيء قيل: تركت السُّنَّة** » ، قالوا: ومتى ذلك؟ ، قال: «**إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين**»[٣] .

وأما ما ورد من أقوال السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ في فضل العلماء فالآثار في غاية الكثرة فدونك شيئًا من ذلك:

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : محبة العلماء دين يدان به.[٤]

---

(١) البخاري برقم (١٠٠) ومسلم برقم (٢٦٧٣) .
(٢) البخاري برقم (٥٩) .
(٣) الدارمي ج١ (٦٤) بسند صحيح.
(٤) الإفادة لمفتاح دار السعادة ج١ (١١٨) .

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من فقه الرجل ممشاه ومدخله وخرجه مع أهل العلم.

وقال عبد الله بن أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: العلماء منار البلاد، منهم يقتبس النور الذي يهتدى به.

وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ: إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: بنفسي العلماء - أي افتدي العلماء بنفسي- هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

وقال أبو الأسود الدؤلي رَحِمَهُ اللَّهُ: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وقال بعضهم: من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحب طاعتهم.

وقال بعض السلف: من عادى العلماء خسر دينه.

وقال طاووس بن كيسان رَحِمَهُ اللَّهُ: من السُّنَّة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان والوالد، قال: ويقال إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه.[1]

فيا عباد الله، لازموا العلماء وجالسوهم، واستفيدوا من علمهم وأخلاقهم، وآدابهم، وإياكم والوقيعة فيهم، قال ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ[2]

---

(١) كل الأقوال تراجع من كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر بتحقيق أبي الأشبال.

(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم للمقدم ص (٣٢٣).

واعلم - يا أخي وفقنا وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقه حق تقاته- أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براءٌ أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

من فضائل العلماء : أن الله -تبارك وتعالى- ينقذ الضالين والمنحرفين بسببهم ، فقد قال يوسف بن أسباط -رحمه الله -: كان أبي قدريًا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان- أي الثوري- رحمه الله [١] .

وهكذا أيها الإخوة في الله: كم من شخص كان بعيدًا عن الله ، واقعًا في المحرمات فهداه الله إلى الصراط المستقيم بسبب أهل العلم فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيرًا.

ولقد كان السلف الصالح يعظمون مشايخهم تعظيمًا ، ويوقروهم توقيرًا ويعرفون ما لهم من المكانة والفضل ، فهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قام زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ له بركابه فقال : تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال : إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا [٢].

وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: جلست إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه كأنه أمير [٣].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة برقم (٣٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٢(٤٣٧).
(٣) سير أعلام النبلاء ج٤(٢٦٣) .

وكان حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا حدث عن شعبة قال :

حدثنا الضخم عن الضخام شعبة الخير أبو بسطام[١]

وهذا أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عبد الملك بن مروان حينما آذاه الحجاج : إني خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين ، والله لو أن النصارى أدركوا رجلًا خدم نبيهم لأكرموه[٢] .

وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قلت يا أبا عبد الله ، ما علامة هلاك الناس؟ قال إذا هلك علماؤهم. [٣]

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هل تدرون ما ذهاب العلم؟ قالوا لا : قال ذهاب العلماء[٤] .

بل خراب الأرض بموت العلماء ، كما قال رب العالمين في كتابه المجيد: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد : ٤١) ، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خرابها بموت العلماء.

إخوة الإيمان والإسلام : لقد تضافرت النصوص ، وكثرت في فضائل العلماء واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم ومعرفة حقوقهم ، وأن طاعتهم في المعروف واجبة ، وأن محبتهم دين وقربة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء : ٥٩).

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٧(٢١٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٣(٤٠٢) .
(٣) الدارمي ج١(٧٨) بسند صحيح.
(٤) الدارمي ج١(٧٨) بسند صحيح.

أولي الأمر منكم: قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أولي الفقه والخير.[١]

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾: الفقهاء والعلماء[٢].

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» [٣].

وأهل السماوات والأرض يدعون لمعلمي الناس الخير ، ففي سُنن الترمذي[٤]، عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ : «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**».

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال : قال رسول الله ﷺ : «**الخلق كلهم يصلون على معلم الناس الخير حتى نينان البحر**» [٥] .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة والآثار الصحيحة للداني ج١(٣٣- ٣٤).
(٢) تفسير ابن جرير ج٧(١٨٠) بتحقيق الدكتور عبد الله التركي .
(٣) أبو داود برقم (٣٦٤١) والترمذي برقم (٢٦٨٢) .
(٤) الترمذي برقم (٢٦٨٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٥) رواه ابن عدي ج٢(١٩٣) والديلمي برقم (٢٩٩٦) تاريخ جرجان ج١(٦٣) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (١٨٥٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر**»[١].

فيا أيها المؤمنون العلماء هم صفوة البشر، وأولياء الله عَزَّوَجَلَّ، وأهل الخشية والخوف، وأهل البصيرة النافذة.

العلماء عصمة للأمة من الضلال، وهم سفينة نوح من تخلف عنهم لا سيما في زمن الفتن كان من المغرقين.

العلماء هم حراس الدين وحماته من الابتداع والتحريف، وكيف تستغني - يا طالب العلم-عن العلماء والفقهاء وهم يضبطون عقلك، والمحدثون ينخلون أحاديثك، وجهابذة التفسير يفقهونك في قرآنك، والمؤرخون يعلمونك صعود الأمم وهبوطها على مدار القرون، والأصوليون يدربونك على استنباط الأحكام، وأرباب اللغة يقومون لسانك الأعوج، والربانيون يوصلون قلبك إلى الملاء الأعلى[٢].

ورحمة الله على الإمام الشافعي إذ يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. أهـ

فنسأل الله العلي القدير أن يحفظ علينا ديننا وعلماءنا، وأن يتوفانا مسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح الجامع برقم (٣٧٥٣).
(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم للمقدم ص(١٦٩) وما بعدها.